

إمام المدرسة البصرية (أبو موسى الأشعري رحمته الله) ومكانته في التفسير والقراءات

د. خليل رجب حمدان الكبيسي*

المقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن والاه.

وبعد :

فلا شك أن الأصحاب الكرام لم يكونوا كلهم على مستوى واحد في الإدراك والفهم، كما لم يحظ كلهم بجماعة واحدة ممن يحمل العلم عنهم، فاشتهر بعضهم بالحنكة في الإمارة، وبعضهم بالفقه والفتوى، وبعضهم بالقضاء، واشتهر بتفسير القرآن وبقراءته جماعة دونها جماعة أخرى، وكان ممن اشتهر بكل ذلك أبو موسى الأشعري، وفاقت شهرته وإمامته في التفسير والقراءات، بيد أنني لم أقف على دراسات سابقة تسلط الضوء على جهوده العظيمة في هذين العلمين، وأثره الكبير على مدارس الأمصار، في اليمن والبصرة والكوفة، وتفرده بالإمامة في البصرة، وتأسيسه لمدرستي التفسير والقراءات فيها، ولذا فإن هذا البحث يدرس مكانته في التفسير والقراءات، وجهوده فيهما، وأثره على مدرستي الإقراء والتفسير البصرية. وجاء في ثلاثة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول: عرفت فيه بحياته الشخصية، وهجراته، وجهاده، وأعماله.

المبحث الثاني : درست فيه حياته العلمية، من حيث مكانته العلمية بين الأصحاب، ومكانته في التفسير والقراءات، وأثره فيهما على مدرسة البصرة.

* أستاذ مشارك - رئيس قسم علوم القرآن - كلية الآداب - جامعة إب.

المبحث الثالث : خصصته لمنهجه في التفسير، من حيث أصوله فيه ومميزات تفسيره وسماته.

الخاتمة : أوجزت فيها أهم النتائج المتحصلة من الدراسة. ومن الله التوفيق.

المبحث الأول

حياته وجهاده

أولاً : اسمه ونسبه :

هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن عنز بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجيه بن الجماهر بن الأشعر. والأشعر أبو قبيلة يمنية تسكن وادي زبيد ويرجع نسبه إلى يعرب بن قحطان. وأمه هي الصحابية الجليلة ظبية بنت وهب، من عك، أسلمت وماتت بالمدينة. وقيل اسمها (طفية)، والأرجح الأول.⁽¹⁾ ذكر له أربعة أولاد : إبراهيم، أكبر أبنائه، سماه النبي ﷺ وحنكه، وكني بأبي موسى قبل أن يولد له، وأبو بكر، قيل اسمه عمرو وقيل اسمه كنيته، وأبو موسى وقيل موسى، وأبو بردة، واسمه عامر وقيل الحارث وقيل اسمه كنيته.⁽²⁾ ولد ونشأ في اليمن بوادي زبيد من أرض تهامة.⁽³⁾ وقيل في وصفه : رجل خفيف الجسم قصير أظط.⁽⁴⁾

(1) الطبقات الكبرى : 105/4 ، المستدرک : 526/3 وأسد الغابة : 62/3.

(2) تهذيب التهذيب : 317/5 وفتح الباري : 579/10 ، قال خليفة : له ولد اسمه موسى قتل بفتح جاورسان :

طبقات خليفة : 237 وقال ابن سعد : موسى بن أبي موسى الأشعري أمه أم كلثوم بنت الفضل بن العباس بن عبد المطلب ، الطبقات الكبرى : 269/6.

(3) طبقات فقهاء اليمن : 8 والسلوك : 97/1.

(4) الطبقات : 113/4 و114 والمستدرک : 526/3. والأظط قليل شعر اللحية وقيل : الحاجين ، اللسان : مادة

نطط.

ثانياً: هجرته وإسلامه :

هاجر أبو موسى إلى النبي ﷺ مع اثنين وخمسين من قومه من وادي زبيد ورمع.⁽⁵⁾ واختلف في كيفية هجرته، فقد روى مسلم بسنده عن أبي موسى الأشعري قال: «بلغنا مخرج رسول الله ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه، أنا وأخوان لي، أنا أصغرهما، أحدهما أبو بردة، والآخر أبو رهم، إما قال : بضعا، وإما قال : ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلا من قومي، قال : فركبنا سفينة، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده، فقال جعفر : إن رسول الله ﷺ بعثنا ههنا، وأمرنا بالإقامة، فأقيموا معنا، فأقمنا معه، حتى قدمنا جميعاً، قال : فوافقنا رسول الله ﷺ حين افتتح خيبر».⁽⁶⁾ وفي رواية عنده أن عمر رضي الله عنه قال لأسماء بنت عميس : «سبقناكم بالهجرة، فتحن أحق برسول الله ﷺ منكم» فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال : «له ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أصحاب السفينة هجرتان، قالت : فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السقيفة يأتوني أرسالاً يسألوني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء أفرح ولا أعظم في نفوسهم مما قال لهم رسول الله ﷺ».⁽⁷⁾ وقيل إنه هاجر من بلاده مع بضع وخمسين من قومه إلى مكة، وأسلم، وحالف فيها سعيد بن العاص أبا أحيحة، وهاجر منها إلى أرض الحبشة، ثم قدم مع أهل السفينتين ورسول الله ﷺ بخيبر، يؤيده قول أبي موسى : أمرنا النبي ﷺ أن ننطلق مع جعفر إلى أرض النجاشي.⁽⁸⁾ وروى أحمد بإسناد حسن ذكر من بعثهم النبي ﷺ إلى الحبشة وذكره فيهم.⁽⁹⁾ وقيل : إنه ليس من مهاجرة الحبشة، وإنما كان أسلم بمكة قديماً، ثم رجع إلى بلاد قومه، فلم

(5) طبقات فقهاء اليمن : 24 ، السلوك : 97/1 وتحفة المستفيد : 23 و34.

(6) صحيح مسلم : 1946/4 برقم (2502). والطبقات الكبرى : 79/4 - 80.

(7) صحيح مسلم : 1946/4 برقم (2503)، صحيح ابن حبان : 166/16 ومسنند أحمد 393/4.

(8) الطبقات الكبرى : 105/4 - 106 وهو قول محمد بن عمرو، والمستدرك : 526/3.

(9) فتح الباري : 189/7.

يزل بها حتى قدم هو وأناس من قومه على النبي ﷺ، فوافق قدومه قدوم أهل السفينتين من الحبشة، ووافقوا رسول الله ﷺ بخير.⁽¹⁰⁾ وهذه الروايات متعارضات ظاهرها، فالأولى تفيد أنه هاجر إلى الحبشة من أرض قومه، ولم يكن بتوجيه النبي ﷺ ولا بقصدهم. والثانية تفيد أنه ممن هاجر إليها بتوجيه النبي ﷺ. والثالثة تفيد أنه ليس من مهاجرة الحبشة، وثبت له القدوم قديماً إلى مكة. والظاهر أن خروجه من بلاد قومه في سفينة فألقتهم ببلاد الحبشة هو الأرجح، على ما صححه عدد من المحققين.⁽¹¹⁾

ويمكن الجمع بأن يكون هاجر أولاً إلى مكة فأسلم، فبعثه النبي ﷺ مع من بعث إلى الحبشة، فتوجه إلى بلاد قومه، فلما تحقق استقرار النبي ﷺ بالمدينة هاجر هو ومن أسلم معه من قومه إلى المدينة، فألقتهم الريح بأرض الحبشة، فهذا محتمل، وفيه جمع بين الأخبار، وعليه فيكون قوله : (بلغنا مخرج النبي ﷺ)، أي إلى المدينة وليس المراد بلغنا مبعثه، ويؤيده أنه يبعد كل البعد أن يتأخر علم مبعثه إلى مضي نحو عشرين سنة.⁽¹²⁾

ثالثاً : فضله وصفاته :

لقد أشى النبي ﷺ عليه وعلى قومه عند مقدمه عليه فقال : «أتاكم أهل اليمن أضعف قلوباً وأرق أفئدة، الفقه يمان والحكمة يمانية»،⁽¹³⁾ فقدم الأشعريون وفيهم أبو موسى، فلما دنوا من المدينة جعلوا يرتجزون :
غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه.

وكانوا أول من أظهر المصافحة في الإسلام.⁽¹⁴⁾

(10) الطبقات الكبرى : 106/4 نقله من قول أبي بكر بن عبد الله بن أبي الجهم.

(11) تهذيب الكمال : 243/4 وتهذيب التهذيب : 317.

(12) فتح الباري : 189/7.

(13) صحيح البخاري بشرح المسقلاني : 99/8.

(14) الطبقات الكبرى : 106/4 وصحيح ابن حبان : 165/16.

واستغفر له النبي ﷺ بقوله : «اللهم أغفر لعبد الله بن قيس وثبته وأدخله مدخلاً كريماً»⁽¹⁵⁾ وخصه النبي ﷺ وأصحابه الأشعريين بصلاة معه في الليل قال لهم فيها بعد انقضاء الصلاة : «على رسلكم، أعلمكم وأبشروا أن من نعمة الله عليكم أنه ليس من الناس أحد يصلي هذه الساعة غيركم، أو قال : ما صلى هذه الساعة أحد غيركم»⁽¹⁶⁾.

وكان في صفاته كما قال الذهبي : «وكان أبو موسى عابداً صواماً قواماً كبير القدر»⁽¹⁷⁾ وكان مكثراً من المواعظ وذكر الآخرة، قال أنس بن مالك : كنا في مسير مع أبي موسى والناس يتكلمون ويذكرون الدنيا، فقال أبو موسى : «يا أنس : إن هؤلاء يكاد أحدهم يفري الأديم فرياً بلسانه، فتعال فلنذكر ربنا ساعة»⁽¹⁸⁾ وأخذوا يتذاكرون الآخرة. وكان زاهداً في حياته، فعن أبي بردة عن أبيه أبي موسى الأشعري قال : «أي بني لو شهدتنا ونحن مع النبي ﷺ إذ أصابتنا السماء حسبت أن ريحنا ريح الضأن، إنما كان لباسنا الصوف»⁽¹⁹⁾ وحينما كتب إليه معاوية في أمر مبايعته ليولي ولديه البصرة والكوفة، رفض ذلك قائلاً : «فإنك كتبت إليّ في جسيم أمر الأمة، فماذا أقول لربي إذا قدمت عليه، ليس لي فيما عرضت من حاجة، والسلام عليك»⁽²⁰⁾.

وكان متوكلاً على الله تمام التوكل، فعن أبي بريدة قال : «قلت لأبي موسى في طاعون وقع : أخرج بنا إلى وابق نبدوا بها، فقال أبو موسى : إلى الله أبق لا إلى وابق»⁽²¹⁾ وهو وأصحابه أول من طبق عملياً التكافل الاجتماعي، حتى قال النبي ﷺ فيه وفي أصحابه : «إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قل

(15) صحيح ابن حبان : 172/16 ويلفظ آخر : البخاري : 2884 و 4323 و 6383 ومسلم (2498).

(16) صحيح مسلم : 1/ 443 برقم (641). من رواية أبي بردة عن أبي موسى.

(17) صحيح مسلم : 1/ 443 برقم (641). من رواية أبي بردة عن أبي موسى.

(18) الجامع لأحكام القرآن : 23/20.

(19) مسند أحمد : 4/ 419 وجامع البيان : 26/ 28.

(20) الطبقات الكبرى : 4/ 111 - 112 وسير أعلام النبلاء : 2/ 296.

(21) الطبقات الكبرى : 4/ 111.

طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموا بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم»⁽²²⁾.

واتصف بحياء شديد، روي عنه أنه رأى أناساً يقفون في الماء بغير أزر، فقال لأن أموت ثم أنشر - قالها ثلاثاً - أحب إلي أن أفعل مثل هذا.⁽²³⁾ وإذا نام كان يلبس ثياباً (سروالاً صغيراً) عند النوم مخافة أن تتكشف عورته.⁽²⁴⁾ بل بلغ به الحياء أنه كان يقول: «إني لأغتسل في البيت المظلم، فما أقيم صليبي حتى أأخذ ثيابي حياء من ربي عز وجل»⁽²⁵⁾.

رابعاً : جهاده وأعماله :

شهد المشاهد مع النبي ﷺ منذ قدومه إليه، وفي غزوة حنين عقد النبي ﷺ الراية لأخيه أبي عامر لملاحقة المشركين إلى أوطاس، فاستشهد أخوه، فحمل الراية بعده، ولاحق قاتله فقتله، وفتح على يديه.⁽²⁶⁾ وفي غزوة ذات الرقاع يروي أبو بردة عنه قوله: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة، ونحن ستة نفر بيننا بغير نتعقبه، قال: فنقبت أقدامنا، فنقبت قدماي، وسقطت أظفاري، فكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع، لما كنا نعصب على أرجلنا من الخرق. قال أبو بردة: فحدث أبو موسى بهذا الحديث ثم كره ذلك، قال: كأنه كره أن يكون شيئاً من عمله أفشاه»⁽²⁷⁾.

وبعثه النبي ﷺ إلى اليمن في أوائل سنة عشر، وقيل في أواخر سنة تسع، قبل حجة الوداع وبعد الرجوع من غزوة تبوك، لأنه شهدا مع النبي ﷺ،⁽²⁸⁾ ثم عاد للحج، جاء في الصحيح عنه: «بعثني رسول الله إلى أرض قومي، فجئت ورسول

(22) صحيح البخاري : 880/2 برقم (2354) وصحيح مسلم : 1944/4 برقم (2500).

(23) الطبقات الكبرى : 114/4 و104/4.

(24) أخرجه البغوي بسند صحيح، الإصابة : 211/4.

(25) الطبقات الكبرى : 106/4 وحلية الأولياء : 327/1.

(26) البخاري : 1571/4 برقم (4068) غزوة أوطاس، ومسلم : 1943/4 برقم (2498) فضائل أبي موسى.

(27) صحيح مسلم : 1449/3 برقم (1816) وفتح الباري : 421/7.

(28) فتح الباري : 62/8.

الله منيخ بالأبطح»⁽²⁹⁾ وأوصاه بما رواه سعيد بن أبي بردة قال : «بعث النبي ﷺ جده أبا موسى ومعاذاً إلى اليمن فقال : يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تتفرا ، وتطاوعا»⁽³⁰⁾ وجعله على زبيد وعدن والياً ومعلماً ، وفي رواية أنه استعمله على زبيد ورَمَع والسواحل.⁽³¹⁾

وشهد في عهد أبي بكر فتوح الشام مع المجاهدين،⁽³²⁾ وبعثه عمر رضي الله عنه في عهده إلى البصرة سنة (61 أو قيل 17)، والياً وقاضياً ومعلماً ومقرئاً، ولكفائته وقوته وأمانته خصه عمر بما لم يعطه لغيره من ولاته، فقد روى الشعبي قال : «كتب عمر في وصيته ألا يقر لي عامل أكثر من سنة، وأقروا الأشعري أربع سنين»⁽³³⁾ وهو الذي حفر الأحفار (الركايا) على جادة البصرة إلى مكة ليستقي منها.⁽³⁴⁾ وأبقاه عثمان رضي الله عنه على البصرة عملاً بوضعية عمر، ثم عزله من البصرة وليس لديه دينار، فتوجه إلى الكوفة واستقر بها.⁽³⁵⁾ ثم ولاء عثمان على الكوفة، وقيل إن عمر ولاء أيضاً على الكوفة،⁽³⁶⁾ لكن هذا لم يصح فلم يولّ على الكوفة إلا في عهد عثمان.⁽³⁷⁾ واستمر عليها حتى مقدم علي رضي الله عنه إلى الكوفة، وفي عهد علي كان أحد الحكمين، ثم اعتزل الناس بعد ما كان من التحكيم، وكان يخطب في الناس يدعوهم إلى الوحدة وينهاهم عن الفتنة.⁽³⁸⁾

(29) صحيح البخاري : 1185/3 برقم (3071).

(30) صحيح البخاري : 1579/4 برقم (4088) وصحيح مسلم : 1359/3 برقم (1733)..

(31) طبقات فقهاء اليمن : 23 ، السلوك : 97/1 ، معرفة القراء : 19 والإصابة : 211/4.

(32) الإصابة : 213/4.

(33) مسند أحمد : 391/4 ، الطبقات : 115/4 ، سير أعلام النبلاء : 391/2 وتهذيب التهذيب : 363/5.

(34) معجم البلدان : 275/2. كما حفر الآبار هناك. نفس المصدر : 324/5.

(35) الطبقات : 45/5 و 16/6 والثغاة : 249/2 وقال بقي فيها سبع سنين.

(36) تهذيب التهذيب : 362/5 - 363 وتذكرة الحفاظ : 3/1.

(37) تاريخ الطبري : 253/4.

(38) المستدرک : 126/3 و 507.

وفي أثناء ولايته على البصرة والكوفة فتحت على يديه كثير من الأمصار، منها : الأهواز وأصبهان وجنديسابور وهمدان وسائر بلاد خوزستان وتستر والرها وسميساط، وغيرها، وهو الذي أسر الهرمزان وأرسله إلى عمر.⁽³⁹⁾ وكفاه بذلك أثراً في الإسلام.

فقضى حياته رحمه الله عبادة ودعوة وتعليماً وجهاداً حتى وافاه الأجل بالكوفة في الثوبة على بعد ميلين عنها على الأرجح، وقيل بمكة، عن عمر بضع وستين سنة، وقيل : ثلاث وستين، واختلفوا في سنة وفاته ورجح الذهبي أنه توفى في ذي الحجة سنة (44هـ).⁽⁴⁰⁾

المبحث الثاني

مكانته في القراءات والتفسير

أولاً : مكانته العلمية :

كان أبو موسى من أعلام الصحابة، مقرئاً ومفسراً ومحدثاً وفقهياً ومفتياً وقاضياً، لازم النبي ﷺ بعد إسلامه، وحفظ القرآن عنه عرضاً، وتفقه على يديه، يقول الذهبي :⁽⁴¹⁾ «حفظ القرآن والعلم، ولئن قصرت مدة صحبته فلقد كان من نجباء الصحابة». وذكر له في مسند بقي ثلاث وستون ومائة حديث، وله في الصحيحين تسعة وأربعون حديثاً، تفرد البخاري بأربعة، وتفرد مسلم بخمسة عشر حديثاً، وله كثير في غيرها.⁽⁴²⁾

وقد عرف منذ نزوله المدينة بالجد في تحصيل العلم، حتى اشتهر بوصف الفقيه،⁽⁴³⁾ فكان أحد فقهاء الصحابة وعلمائهم المشار إليهم، سئل عنه علي

(39) الطبقات : 110/4 والثقات : 214/2 ومجمع البلدان : 1/92 و210 و285 و30/2 و87 و171.

(40) معرفة القراء الكبار : 19 وتهذيب التهذيب : 317/5.

(41) معرفة القراء الكبار : 19 وسير أعلام النبلاء : 280/2 - 281.

(42) سير أعلام النبلاء : 400/2 وتذكرة الحفاظ : 23/1.

(43) الإصابة : 11/1 وقد أورد حديث ابن أبرا في ترجمة أبرا هذا مفاده.

رضي الله عنه فقال : « صبغ في العلم صبغة ».⁽⁴⁴⁾ واشتهر بالفتوى بين الأصحاب، فعن مسروق قال : « كان أصحاب الفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ عمر وعلي وابن مسعود وزيد وأبي بن كعب وأبو موسى الأشعري ».⁽⁴⁵⁾ وهو أحد أربعة كانوا يفتون في عهد النبي ﷺ، يقول صفوان بن سليم : « لم يكن يفتي في المسجد زمن النبي ﷺ غير هؤلاء : عمر وعلي ومعاذ وأبو موسى ».⁽⁴⁶⁾ وكان الصحابة الكرام يستفتونه بمناسك الحج كما علمه النبي ﷺ،⁽⁴⁷⁾ ويرجعون إليه في علم القرآن والسنة.⁽⁴⁸⁾

ولمكانته في العلم بعثه النبي ﷺ إلى اليمن والياً ومعلماً وقاضياً، فعلم أهلها وفقههم. وقد استدل من بعث النبي له على أنه كان عالماً فظناً حاذقاً، ولولا ذلك لم يوله النبي ﷺ الإمارة، ولذلك اعتمد عليه عمر ثم عثمان ثم علي.⁽⁴⁹⁾ ولما نزل البصرة علم أهلها وفقههم في الدين والقرآن.⁽⁵⁰⁾ وتأسست على يديه مدرسة الفقه والقراءة والتفسير في البصرة، وكان يتتبع أخطاءهم الشرعية التي يقعون فيها ليبين لهم الوجه الشرعي على ضوء ما تعلمه وسمعه من النبي ﷺ.⁽⁵¹⁾ ولما سكن الكوفة تفقه به أهلها، والتف من حوله تلامذة ابن مسعود وأخذوا عنه العلم ونقلوه إلى من بعدهم، وأعجبوا بعلمه، حتى بلغ بهم الأمر أن طلبوا من عثمان أن يوله عليهم فولاه.⁽⁵²⁾

(44) الاستيعاب : 104/3 وسير اعلام النبلاء : 388/2.

(45) الطبقات الكبرى : 351/2.

(46) تذكرة الحفاظ : 24/1 ومعرفة الصحابة : 1751/4.

(47) صحيح البخاري : 636/2 برقم (1701) وصحيح مسلم : 894/2.

(48) المستدرک : 528/3 وفيه ان ابن عباس كتب إليه في أحاديث كان يحدث بها.

(49) فتح الباري : 62/8.

(50) تهذيب الكمال : 447/15 وسير اعلام النبلاء : 380/2.

(51) من أمثلته بنظر : صحيح مسلم : 303/1 برقم (404).

(52) الاستيعاب : 104/3، تذكرة الحفاظ : 23/1 والإصابة : 212/4 - 213.

فكان بذلك من أشهر الأصحاب علماً وعملاً وقراءة، يقول الذهبي :⁽⁵³⁾ «وكان عالماً عاملاً صالحاً، تالياً لكتاب الله،...روى علماً طيباً مباركاً، وأقرأ القرآن». وشهد أئمة التابعين بمكانته المتقدمة بين علماء الصحابة في العلم، فهو أحد الستة الذين يؤخذ العلم عنهم، يقول الشعبي : «خذوا العلم عن ستة» وذكره منهم. وفي رواية البخاري : العلماء ستة، وذكره منهم.⁽⁵⁴⁾ وعده مسروق أحد ثمانية من أصحاب النبي ﷺ انتهى إليهم العلم.⁽⁵⁵⁾ وكان الشعبي يشبه علمه بعلم علي وأبي ويقول : يشبه علمهم بعضه بعضاً.⁽⁵⁶⁾ وقد تميز بسداد الرأي، وقوة الحجة، ووضوح الدليل، حتى وصفه سليمان بقوله : «ما كنا نشبه كلام أبي موسى إلا بالجزار الذي لا يخطئ الفصل».⁽⁵⁷⁾ وكفاه بتلك الشهادات من كبار علماء الصحابة والتابعين مكانة في العلم.

وكثيراً ما تجده صاحب الحل الأمثل والمسلك الأدق في المسائل الخلافية، فعن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري قال : «اختلف رهط من المهاجرين والأنصار، فقال الأنصاريون : لا يجب الغسل إلا من الدفق أو من الماء، وقال المهاجرون : بل إذا خالط فقد وجب الغسل، قال : قال أبو موسى : فأنا أشفيكم من ذلك، فقامت فاستأذنت على عائشة، فأذن لي، فقلت لها : يا أمه، أو، يا أم المؤمنين : إنني أريد أن أسألك عن شيء، وأني أستحييك، فقالت : لا تستحي أن تسألني عما كنت سائلاً عنه أملك التي ولدتك، قلت : فما يوجب الغسل ؟ قالت على الخبير سقطت، قال رسول الله ﷺ : إذا جلس بين شعبها الأربع ومس الختان الختان فقد وجب الغسل».⁽⁵⁸⁾

(53) تذكرة الحفاظ : 32/1.

(54) التاريخ الكبير : 22/5، سير أعلام النبلاء : 279/2 وتهذيب التهذيب : 317/5.

(55) المستدرک : 527/3 وتهذيب التهذيب : 317/5.

(56) سير أعلام النبلاء : 279/2 وغاية النهاية : 442/1 وينظر : المستدرک : 483/3.

(57) الطبقات : 111/4 و245/2.

(58) صحيح مسلم : 271/1 برقم (349) وصحيح ابن خزيمة : 114/1.

وإذا عرضت عليه المسألة ولم يكن متثبتاً منها فإنه يتأكد من حكمها ممن عنده علم بها، كما حدث حينما استفتاه أعرابي في رضاعه من زوجته لضرورة فقال له أبو موسى: «بانت منك، وأت ابن مسعود فأخبره، ففعل، فأقبل ابن مسعود بالأعرابي فقال: أرضيعاً ترى هذا الأشمط؟ إنما يحرم من الرضاع ما أنبت اللحم والعظم». فرجع عن قوله.⁽⁵⁹⁾ فوجهه إليه للاستثبات حيث لم يتبين له الدليل. ورفعت إليه مسألة في ميراث ابنة وابنة ابن وأخت لأب وأم، وكان معه سليمان بن ربيعة، فقال: «للأبنة النصف وللأخت النصف. وأت ابن مسعود فإنه سيتابعني، فستل ابن مسعود وأخبر بقول أبي موسى فقال: قد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين، أقضي فيها بما قضى النبي ﷺ: للأبنة النصف، ولأبنة الابن السدس تكملة للثلثين، وما بقي فللأخت، قال: فأتينا أبا موسى فأخبرناه بقول ابن مسعود، فقال: لا تسألوني ما دام هذا الخبر فيكم».⁽⁶⁰⁾

فقد أرسله إلى ابن مسعود للاستثبات، لأنه قاله على سبيل الاجتهاد منه في المسألة، ووافقه سليمان، وكان سليمان وقتها على قضاء الكوفة زمن عثمان، وهذا يدل على ما كانوا عليه من الإنصاف والاعتراف بالحق والرجوع إليه، وشهادة بعضهم لبعض بالعلم والفضل، وعلى تثبت أبي موسى في الفتيا، حيث دل على من ظن أنه هو أعلم منه فيها. وفي جواب أبي موسى دلالة على رجوعه عما قاله بعد أن تبين له الدليل.⁽⁶¹⁾ ومرجع الخلاف تفسير المراد بالولد في قوله: «إن امرؤ هلك ليس له ولد» النساء: 176، فهل المراد الذكور، أم الذكور والإناث، فهو مشترك بينهما، ولكل منهما شواهد في القرآن.

(59) مسند أحمد: 1/463، سنن الدار قطني: 4/173 والجامع لأحكام القرآن: 5/10 وهو مذهب عائشة والليث.

(60) صحيح البخاري بشرح العسقلاني: 12/21-22، المستدرک: 4/343 وتفسير ابن أبي حاتم: 4/1302 وود فيهما أن السؤال توجه إلى سليمان بن ربيعة وأبي موسى وأنها افتيا بذلك.

(61) فتح الباري: 12-17-18.

وكان مع إتقانه الفقه والفتوى يتقن تطبيق الأحكام على الواقع قضائياً، فكان من القضاة البارزين، وكان يقول: «لا ينبغي للقاضي أن يقضي حتى يتبين له الحق كما يتبين الليل من النهار، فبلغ ذلك عمر فقال: صدق أبو موسى».⁽⁶²⁾ وقد أوكل إليه النبي ﷺ القضاء مع الإمارة في اليمن، وجعله عمر قاضياً على البصرة،⁽⁶³⁾ وأدرك تلامذته مكانته هذه، يقول مسروق وابن المدائني: «قضاة هذه الأمة أربعة: عمر وعلي وأبو موسى وزيد بن ثابت».⁽⁶⁴⁾ وقال الشعبي: «القضاء في ستة نفر من أصحاب النبي ﷺ، ثلاثة بالمدينة، وثلاثة بالكوفة، فبالمدينة عمر وأبي وزيد بن ثابت، وبالكوفة علي وعبد الله وأبو موسى. قال الشيباني: فقلت للشعبي: أبو موسى يضاف إليهم؟ قال: كان أحد الفقهاء».⁽⁶⁵⁾

شيوخه: روى العلم عن رسول الله ﷺ وعن أبي بكر وعمر وعلي وابن مسعود وأبي بن كعب وابن عباس ومعاذ بن جبل وعمار بن ياسر وعائشة رضي الله عنهم.

تلامذته ورواة علمه: كان لأبي موسى تلامذة كثر توزعوا على الأمصار التي حل فيها، من أهل اليمن والمدينة والبصرة والكوفة، أخذوا عنه ورووا علمه لمن جاء بعدهم، وكان أبو موسى يأمرهم بالحفظ عنه، وينهاهم عن كتابة حديثه، لئلا يتكلموا على الكتابة ويتركوا سنة السلف في حفظ ونقل العلم، وحدث مرة أن ابنه وتلميذه أبا بردة كان يكتب حديثه من غير علمه، فدعاه يوماً ليحدثه فجعل يكتب وهو يحدث، فقال له أبو موسى: «لعلك تكتب

(62) الطبقات الكبرى: 345/2.

(63) تاريخ الطبري: 253/4.

(64) الطبقات الكبرى: 351/2، المستدرك: 527/3، تذكرة الحفاظ: 23/1 وتهذيب التهذيب: 317/5.

(65) المستدرك: 527/3.

حديثي، قال : قلت نعم، قال : فأتني بكل شيء كتبت، قال : فأتيت به، فمحاها، ثم قال : احفظ كما حفظت⁽⁶⁶⁾.

واشتهر من بين رواة علمه تلامذته البصريون ثم الكوفيون، ومنهم : أولاده الأربعة : إبراهيم وأبو بكر وأبو موسى وأبو بردة، وامراته أم عبد الله، وأنس بن مالك، وأبو سعيد الخدري، وأبو أمانة، وأبو عبد الرحمن السلمي، ومسروق، وهزيل بن شرحبيل، ومرة بن شراحيل الطيب، والأسود وعبد الرحمن ابنا يزيد، وسعيد بن جبير، وأبو إسحاق السبيعي، وزر بن حبيش، وأبو وائل، وأبو الأحوص، وعوف بن مالك، وقيس بن أبي حازم، وأبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود، وأبو عثمان النهدي، وسعيد بن المسيب، وحنطان الرقاشي البصري، وربيعي بن حراش، وزهد بن مضرب، وصفوان بن محرز، وقسامة بن زهير، وحמיד بن عبد الرحمن البصري، وعياض بن مرة الأشعري، وشريح بن عبيد المقرئ الحضرمي، ومحمد بن سيرين، ومحمد بن عبد الأعلى الصنعائي القيسي، وأبو تميمة الهجيمي، والحسن بن يسار البصري، وقتادة، وغيرهم كثير. ومثل هؤلاء الأئمة من التلامذة يظهر مكانته العلمية الفائقة، وأثره الكبير في مدارس الأمصار.

ثانياً : مكانته في القراءات وأثره في مدرسة البصرة الإقرائية :

كان أبو موسى من المجيدين لتلاوة حروف القرآن، والملازمين لتلاوته، فمنذ نزله بأرض المدينة على النبي ﷺ لم يكن يشغله عن قراءته شيء حتى قال النبي ﷺ فيه وفي رفقته الأشعريين : «إني لأعرف أصوات الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار»⁽⁶⁷⁾ وكان من أطيب الناس صوتاً بالقرآن، يقول

(66) الطبقات الكبرى : 112/4.

(67) صحيح البخاري : برقم 4232 وصحيح مسلم : 1944/4 برقم (2499) واللفظ له.

الذهبي : «إليه المنتهى في حسن الصوت بالقرآن».⁽⁶⁸⁾ أثنى عليه النبي ﷺ، وكان ينصت لقراءته إذا سمعه يقرأ القرآن، فعن أبي بردة عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ لأبي موسى : «لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود».⁽⁶⁹⁾ وعن أنس بن مالك : «أن أبا موسى قام ليلة يصلي، فسمع أزواج النبي صوته، وكان حلو الصوت، فقمّن يستمعن، فلما أصبح قيل له : إن النساء كن يستمعن، فقال : لو علمت لحبرتكن تحبيراً، ولشوقتكن تشويقاً».⁽⁷⁰⁾ وقال أبو عثمان النهدي : «صلى بنا أبو موسى صلاة الصبح فما سمعت صوت صنّج ولا برّيط ولا ناي أحسن من صوته».⁽⁷¹⁾ وكان عمر إذا رآه قال له : «ذكرنا ربنا تعالى، فيقرأ عنده وهو جالس في المجلس ويتلاحن»⁽⁷²⁾ وفي رواية : «شوقنا إلى ربنا، فيقرأ». وفي البخاري محاورة جرت بينه وبين معاذ وهما في اليمن تبين شدة تعلقه بالقرآن، وملازمته لمراجعته في الحضر والسفر، قال معاذ لأبي موسى : «كيف تقرأ القرآن ؟ قال قائماً وقاعداً، وعلى راحتي، وأتفوقه تفوقاً».⁽⁷³⁾

وهو أحد الذين جمعوا القرآن وحفظوه في عهد النبي ﷺ كما يقول الداني، وتلقاه عن النبي ﷺ وعرضه عليه.⁽⁷⁴⁾ وأحد السبعة المشتهرين من الصحابة بالإقراء والذين تدور أسانيد القراء العشرة عليهم، وهم : (عثمان وعلي وأبي وزيد وابن مسعود وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري) يقول الذهبي : «فهؤلاء

(68) تذكرة الحفاظ : 23/1.

(69) صحيح البخاري : 1925/4 برقم (4761) وصحيح مسلم : 546/1 برقم (793) واللفظ له.

(70) مسلم : 584/2 برقم (853).

(71) الطبقات : 104/4 والصنّج آلة تتخذ من نحاس، كالطبّقين يضرب أحدهما بالآخر، والبريط بالموحدين

بوزن (جعفر) آلة تشبه العود، فارسي معرب، والناي المزمارة. فتح الباري : 93/9.

(72) الطبقات : 109/4، صحيح ابن حبان : 168/16 وصفة الصفوة : 285/1.

(73) صحيح البخاري : 236/6 وأتفوقه يعني الإزم قراءته ليلاً ونهاراً، شيئاً بعد شيء.

(74) معرفة القراء : 19، فتح الباري : 52/9 وغاية النهاية : 442/1.

(75) معرفة القراء الكبار : 20. وينظر الإتيان : 203_202/1.

الذين بلغنا أنهم حفظوا القرآن في عهد النبي ﷺ، وأخذ عنهم عرضاً، وعليهم دارت أسانيد قراءة الأئمة العشرة.

وبلغ اهتمامه بقراءة القرآن أنه كان يعقد مجالس في بيته لمراجعة القرآن ومدارسته، يقول أبو الأحوص: «كان نفر من أصحاب النبي ﷺ، أو قال: عدة من أصحاب النبي ﷺ في دار أبي موسى يعرضون مصحفاً، وكان معهم ابن مسعود»⁽⁷⁶⁾.

ولعلمه وإتقانه لقراءة القرآن الكريم بعثه النبي ﷺ مع معاذ بن جبل إلى اليمن، وأمرهما أن يعلما الناس القرآن.⁽⁷⁷⁾ وبعثه عمر في خلافته إلى البصرة مقرئاً لأهلها، مع الولاية والقضاء، يقول الذهبي⁽⁷⁸⁾: «أقرأ أهل البصرة وفقههم في الدين». ويقول ابن حجر⁽⁷⁹⁾: «وكان أبو موسى هو الذي فقه أهل البصرة وأقرأهم». وأخرج ابن سعد عن أنس بن مالك قال: «بعثني الأشعري إلى عمر، فقال لي عمر: كيف تركت الأشعري؟ فقلت: تركته يعلم الناس القرآن، فقال: أما إنه كيس، ولكن لا تسمعها إياه»⁽⁸⁰⁾.

وكان له منهج في الإقراء انتهجه في تعليم تلامذته، وإذا كان أبو الدرداء هو أول من سن الحلق في قراءة القرآن بالشام،⁽⁸¹⁾ فإن أبا موسى هو أول من سن الحلق في القراءة في العراق، يقول أبو رجاء العطاردي: كان أبو موسى يعلمنا القرآن في مسجد البصرة، وهو يطوف علينا في هذا المسجد، ويعلمنا القرآن خمس آيات خمس آيات، وكنا نجلس إليه حلقاً حلقاً، فيقرأ القرآن.⁽⁸²⁾ وروي

(76) الطبقات الكبرى: 345/2.

(77) مسند أحمد: 397/4.

(78) سير أعلام النبلاء: 274/2 وتذكرة الحفاظ: 23/1.

(79) الإصابة: 211/4.

(80) الطبقات الكبرى: 345/2.

(81) سير أعلام النبلاء: 249/2.

(82) المستدرک 240/2، الجامع الأحكام القرآن: 109/20_110 وغاية النهاية: 604/1.

عنه أنه كان إذا صلى الصبح أستقبل الصفوف رجلاً رجلاً يقرئهم.⁽⁸³⁾ وتعلقوا به حتى أنهم كانوا يسمون مصحفه : (لباب القلوب)⁽⁸⁴⁾ فقرأ عليه كثيرون، فعن أبي حرب بن أبي الأسود عن أبيه قال : «بعث أبو موسى الأشعري إلى قراء البصرة، فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرءوا القرآن، فقال : أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم، فأتوه ولا يطولن عليكم الأمر فتقسطوا قلوبكم كما قسط قلوب من كان قبلكم».⁽⁸⁵⁾ فأرسل دعائم المدرسة الإقرائية في البصرة، وتأسست بجهوده وجهود تلامذته، وكان عمر يتابع جهوده في إلقاء القرآن، فكتب إليه أن أكتب إلي بمن قرأ القرآن ظاهراً.⁽⁸⁶⁾ وروى أبو كنانة القرشي في خبر قدوم أبي موسى إلى البصرة بعد المغيرة، فقال : «ولم يأت علينا شهران حتى ختم سبعة منا القرآن، أحدهم غنيم بن قيس. فأوفدهم الأشعري إلى عمر، فلما قدموا عليه فرض لهم ألفين ألفين».⁽⁸⁷⁾ وأشتهر برواية القراءة عنه جماعة منهم :

1. أبو رجاء العطاردي عمران بن تيم، ويقال بن ملحان البصري التابعي الكبير، مخضرم ولد قبل الهجرة بإحدى عشرة سنة، أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره، وقيل أسلم بعد أن قبض النبي ﷺ، قرأ على أبي موسى الأشعري وتلقن منه القرآن، وروى القراءة عنه عرضاً أبو الأشهب العطاردي، وكان عالماً بالقرآن والرواية، ذكره الذهبي في الطبقة الثانية، توفي سنة 105هـ) وله مائة وسبع وعشرون سنة، وقيل مائة وثلاثون.⁽⁸⁸⁾

(83) سير اعلام النبلاء : 280/2. وينظر : المستدرک : 240/2.

(84) الكامل : ابن الأثير : 45/3 - 46.

(85) صحيح مسلم : 726/2 برقم (105).

(86) الطبقات الكبرى : 131/7.

(87) الطبقات الكبرى : 123/7.

(88) الاستيعاب : 285/3، معرفة القراء : 31 ، غاية النهاية : 604/1 وطبقات الحفاظ : 32.

2. حطان بن عبد الله الرقاشي، ويقال السدوسي، كبير القدر، صاحب زهد وورع وعلم، قرأ على أبي موسى عرضاً، وقرأ عليه عرضاً الحسن البصري، عده الذهبي من الطبقة الثانية وقال : أحسبه مات سنة نيف وسبعين.⁽⁸⁹⁾

3. أبو الشيخ الهنائي الهمداني قيل أسماه حيوان بن خالد، وقيل، خيوان، قرأ على أبي موسى، وروى عنه موله عبید وبيهس بن فهدان وقتادة ويحيى بن أبي كثير ومطر الوراق، ذكره خليفة في الطبقة الثانية، من قراء أهل البصرة، ثقة، له أحاديث في السنن، وكان ابن سيرين عند كبره وما اعتراه من نسيان يطلب منه أن يلقيه في الصلاة، قال ابن سعد هو من الأزد، وقال العجلي : تابعي ثقة، توفي بعد المائة قبل الحسن البصري.⁽⁹⁰⁾

وقد انتهت إليه أسانيد عدد من القراء السبعة والعشرة ومن بعدهم، فمن السبعة أبو عمرو بن العلاء البصري، حيث قرأ أبو عمرو على الحسن البصري، وقرأ الحسن على حطان الرقاشي، وقرأ حطان على أبي موسى.⁽⁹¹⁾ وقرأ أبو موسى على رسول الله ﷺ.

ومن العشرة قراءة يعقوب الحضرمي البصري، فقد قرأ يعقوب على سلام الطويل، وقرأ سلام على عاصم الجحدري البصري، وقرأ الجحدري على الحسن البصري بسنده عن أبي موسى. وقرأ يعقوب على أبي الأشهب جعفر بن حيان العطاردي، وقرأ أبو الأشهب على أبي رجاء العطاردي، وقرأ أبو رجاء على أبي موسى الأشعري.⁽⁹²⁾ فهاتان قراءتان متواتران يدور سندهما على أبي موسى الأشعري. ومن القراء الذين بعد العشر، قراءة الحسن البصري، وقد تقدم سندُه عنه، وقراءة الحسن تعد من الشواذ.⁽⁹³⁾

(89) معرفة القراء : 25 - 26 وغاية النهاية : 1/ 253 - 254.

(90) طبقات خليفة : 206 وتهذيب التهذيب : 12/ 142 وينظر : سنن أبي داود : 2/ 157 وسماء خيوان بن خلدة.

(91) معرفة القراء : 58 - 59 والنشر : 1/ 133.

(92) تحبير التيسير : 19 والنشر : 1/ 185 - 186.

(93) إتحاف فضلاء البشر : 1/ 76.

وقد رويت عنه قراءات شاذة كان يقرأ بها ، نحو ما رواه أبو الأسود الدؤلي أن أبا موسى أرسل إلى قراء البصرة فحثهم على القراءة ثم قال : «كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتهما ، غير أنني قد حفظت منها : لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب. وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات ، فأنسيتهما ، غير أنني حفظت منها : يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة»⁽⁹⁴⁾ وهذه قراءة شاذة ، فهي قراءة آحاد ، والقرآنية لا تثبت إلا بالتواتر ، وهي مخالفة لخط المصحف المجمع عليه ، فهي من المنسوخ تلاوته. وأشار إلى نسخها بقوله : (فأنسيتهما).

ومن ذلك ما روي عنه أنه قرأ قوله تعالى : ﴿فاذكروا اسم الله عليها صواف﴾⁽⁹⁵⁾ الحج : 36 ، قرأ أبو موسى : (صوافي) بكسر الفاء وفتح الياء ، جمع (صافية) ، أي خوالص لله تعالى ، لا يشركون به في التسمية على نحرها أحد ، وهي قراءة الحسن والأعرج ومجاهد وزيد بن أسلم ، وهي من الشواذ. والقراءة المتواترة (صواف) ، أي مصطفة ، بمعنى : انحروها وقد صفت قوائمه⁽⁹⁵⁾ وفي قوله تعالى : ﴿وجاء فرعونُ ومَنْ قَبْلَهُ﴾ الحاقة : 9 ، قرأ أبو عمرو والكسائي ويعقوب (ومن قَبْلَهُ) بكسر القاف وفتح الباء ، أي ومن معه وتبعه من جنوده ، ووافقهم الحسن واليزيدي ، وقرأ عبد الله بن مسعود وأبي (ومن معه) ، وقرأ أبو موسى الأشعري : (ومن تلقاءه) ، ومعناها بنحو القراءة السابقة ، وهي قراءة شاذة لمخالفتها خط المصحف. والباقون : (قَبْلَهُ) بفتح القاف وسكون الباء. يعني ومن يقدمه من الأمم⁽⁹⁶⁾ ولا شك أن هذه القراءات الشاذة كان يقرأ بها قبل كتابة المصاحف في عهد عثمان ، ثم تركها والتزم بما وافق رسم المصحف ، بل روي عنه أنه جلس

(94) صحيح مسلم : 726/2 برقم (1050) وأخرجها الحاكم عن أبي ، المستدرک : 244/2.

(95) الجامع لأحكام القرآن : 61/12 وإتحاف فضلاء البشر : 275/2.

(96) الجامع لأحكام القرآن : 264/18 وإتحاف فضلاء البشر : 557/2.

إلى ابن مسعود يدعو ويحثه على الالتزام بالمصحف المجمع عليه في القراءة وأن يدفع مصحفه إلى عثمان.⁽⁹⁷⁾

ثالثاً : مكانته في التفسير وأثره في مدرسة التفسير البصرية :

لقد احتل أبو موسى مكانة متميزة بين الصحابة في تفسير القرآن الكريم، فهو أحد العشرة من الصحابة المشتهرين بالتفسير،⁽⁹⁸⁾ وقد رويت عنه روايات تفسيرية كثيرة في كتب التفسير بالمأثور وكتب السنة تتناول كل مجالات التفسير. وإلى جهوده الكبيرة التي بذلها تعود نشأة المدرسة البصرية في التفسير، فمنذ نزل أرض البصرة بعد إرسال عمر له عكف على تعليم القرآن تلاوة وتفسيراً، وفي أثره على أهل البصرة يقول الحسن البصري : «ما أتاها - يعني البصرة - راكب خير لأهلها منه. يعني من أبي موسى».⁽⁹⁹⁾

وتخرج على يديه عدد كبير من علماء البصرة الذين حملوا علمه بالقرآن من بعده، وكانوا أئمة في التفسير يقتدى بهم، منهم : أبو العالية، ومحمد بن عبد الأعلى وأبو الأسود الدؤلي وسعيد بن المسيب وابن سيرين وأبو تيمية الهجيمي وقتادة والحسن البصري وقسامة وحמיד بن عبد الرحمن وغيرهم.

كما كان له أثر مهم في تطور واتساع مدرسة الكوفة التفسيرية، حيث أننا نجد أن تلامذة ابن مسعود وبعد نزوله الكوفة قد التفوا من حوله وأخذوا عنه العلم بالقرآن، ونقلوه لمن بعدهم، وهذا يتضح من ملاحظة رواة علمه وتفسيره، فكثير منهم من كبار تلامذة ابن مسعود الكوفيين، حتى قال تلميذ ابن مسعود الأسود بن يزيد : «لم أر بالكوفة أعلم من علي وأبي موسى».⁽¹⁰⁰⁾

وهو معدود ضمن مدرسة التفسير بالرأي العراقية التي ترجع جذورها إلى عمر رضي الله عنه، ولكنه لم يكن مقلداً ومتابعاً في الرأي، وإنما هو صاحب

(97) المستدرک : 247/2.

(98) الإتيان : 204/4.

(99) التاريخ الكبير : 22/5، المستدرک : 528/3 وسير أعلام النبلاء : 389/2.

(100) تذكرة الحفاظ : 23/1.

رأي ومذهب يجمع بين المدرسة الظاهرية النصية وبين الرأي، وهذا ما تميزت به مدرسة البصرة عن مدرسة الكوفة ومدرسة المدينة، فهو يلتقي في بعض أقواله مع بعض الأصحاب كعمر وابن مسعود وهو الغالب، ومع علي رضي الله عنهم، ويختلف مع كل واحد منهم اختلافات عديدة. ولذا فإن قول عامر الشعبي: «علماء هذه الأمة بعد نبيها ﷺ ستة: عمر وعبد الله وزيد بن ثابت، فإذا قال عمر قولاً وقال هذان قولاً كان قولهما لقوله تبعاً. وعلي وأبي بن كعب وأبو موسى الأشعري، فإذا قال علي قولاً وقال هذان قولاً، كان قولهما لقوله تبعاً»⁽¹⁰¹⁾ ليس هو على ظاهره دائماً، فكثيراً ما نجد اختلافاً بينه وبين علي وأبي، وكذا مع عمر وابن مسعود رضي الله عنهم، ومثاله: قال أبو موسى في قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ البقرة: 282، الأمر على الوجوب، وهو قول ابن عمر وبعض التابعين وداود الظاهري، وقال جمهور الصحابة هو على الندب.⁽¹⁰²⁾ وفي تفسير الأيام المعدادات، قال أبو موسى: أربعة أيام: يوم النحر وثلاثة بعده، وقال علي: ثلاثة: يوم النحر ويومان بعده. (وسيرد لهذا تفصيل أكثر). وفي قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخُطَابِ﴾ ص: 20، فسر فصل الخطاب بقوله: هو قوله أما بعد، وهو أول من تكلم بها. وقال ابن عباس: الفصل في القضاء. وقال علي: البينة على المدعي واليمين على من أنكر.⁽¹⁰³⁾ وقال أبو موسى: الجدة ترث مع ابنها، وقال علي في المشهور: لا ترث معه.⁽¹⁰⁴⁾ وخالف عمر وابن مسعود في المسألة المشتركة (الحمارية)، فلا يرى أن الأولاد الأشقاء يشاركون أولاد الأم في الثلث، وهو قول علي وأبي.⁽¹⁰⁵⁾ وفي البحث توضيح وأمثلة لذلك، ويلحظ من أقوال أبي موسى السابقة أنه يذهب فيها على مقتضى الظاهر.

(101) الطبقات الكبرى: 351/2.

(102) الجامع لأحكام القرآن: 402/3.

(103) تفسير ابن أبي حاتم: 3237/10، الجامع لأحكام القرآن: 162/15 والدر المنثور: 564/5.

(104) فتح القدير: 433/1 وقوله موافق لقول عمر وابن مسعود، ورواية عن علي.

(105) الجامع لأحكام القرآن: 70/5 و54/15 تفسير ابن كثير: 461/246.

وكان له مع الأصحاب محاورات ومناظرات، ويعقد المجالس معهم لمراجعة بعض المسائل في التفسير التي يختلف معهم فيها، ويحاورهم في مذاهبهم في استنباط المعاني والأحكام من القرآن، وكثيراً ما تجد الحجة معه، مثل ما أخرجه البخاري من المناظرة بينه وبين ابن مسعود في تيمم الجنب، فقد روى الأعمش قال سمعت شقيق بن سلمة قال : كنت عند عبد الله وأبي موسى، فقال أبو موسى : رأيت يا أبا عبد الرحمن إذا أجنب فلم يجد الماء كيف يصنع ؟ فقال عبد الله : لا يصلي حتى يجد الماء، فقال أبو موسى : فكيف تصنع بقول عمار حين قال له النبي ﷺ : كان يكفيك، قال : ألم تر عمر لم يقنع بذلك ؟ فقال أبو موسى : فدعنا من قول عمار، كيف تصنع بهذه الآية ؟ فما درى عبد الله ما يقول. فقال : إنا لو رخصنا لهم في هذا لأوشك إذا برد على أحدهم الماء أن يدعه ويتيمم». وفي رواية عنه قال : «كنت جالساً مع عبد الله وأبي موسى الأشعري، فقال أبو موسى : لو أن رجلاً أجنب فلم يجد الماء شهراً أما كان يتيمم ويصلي، فكيف تصنعون بهذه الآية في سورة المائدة : ﴿فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً﴾ المائدة : 6، فقال عبد الله كقوله السابق.⁽¹⁰⁶⁾ فهذا النص يبين لنا علمه الكبير، وقدرته على الاحتجاج، وعدم السكوت عن الحق مهابة لكبار الشيوخ، وإن كان بمكانة ابن مسعود الذي قال عنه الأشعري : «لمجلس كنت أجالسه ابن مسعود أوثق في نفسي من عمل سنة».⁽¹⁰⁷⁾

طرق الرواية عنه في التفسير :

طرق الرواية عنه في التفسير كثيرة، وكان أكثر من حمل علمه في التفسير أهل البصرة ثم أهل الكوفة، نظراً لوجوده بينهم، وأكثر الروايات عنه جاءت عن طريق ابنه أبي بردة، وقد تتبع العلماء هذه الروايات بالنقد والدراسة، فبينوا الصحيح منها وغيره، على أننا نشير ابتداء إلى أن رواية الحسن البصري وسعيد

(106) صحيح البخاري : 1/133 برقم (339 و340).

(107) معرفة القراء : 16.

- بن جبير وقتادة عنه مرسله، لأنهم لم يسمعوها منه مباشرة، مع كثرة إرسالهم عنه.⁽¹⁰⁸⁾ وهنا سأبين أشهر الطرق وأكثرها دورانا بين المفسرين كمثال لذلك :
1. بشر البصري، عن يزيد بن زريع البصري، عن سعيد بن عروة البصري، عن قتادة، عن أبي بردة، عن أبي موسى. إسناد صحيح يخرج منه الطبري في تفسيره وأحمد والأربعة والبغوي وابن أبي شيبة والبيهقي والطبراني وغيرهم. غير أن ابن معين يقول في قتادة : لا أعلمه سمع من أبي بردة، لكن كثيراً غيره صحوه.⁽¹⁰⁹⁾
 2. ابن علي، عن معمر بن راشد، عن فراس بن يحيى الهمداني الكوفي، عن عامر الشعبي الكوفي، عن أبي بردة عنه. صحيح، يخرج منه الطبري في تفسيره، وله طرق أخرى يخرج منها البخاري ومسلم في صحيحيهما.⁽¹¹⁰⁾
 3. وكيع، عن قرّة بن خالد، عن أبي رجاء العطاردي، عن أبي موسى. صحيح، يخرج منه الطبري وابن أبي حاتم في تفسيريهما وابن أبي شيبة والطبراني والحاكم.
 4. عبد الرزاق بن همام، عن معمر، عن قسامة، عنه. صحيح. يخرج منه ابن أبي حاتم.
 5. أبو معاوية البصري، عن سعيد بن أبي عروبة البصري، عن مطر الوراق، عن الحسن البصري، عن حطان الرقاشي، عنه. صحيح يخرج منه الطبري في تفسيره.
 6. شعبة، عن قتادة، عن يونس بن جبير، عن حطان، عنه. صحيح، يخرج منه الطبري.
 7. هناد بن السري، عن عبد الله بن المبارك، عن عاصم الأحول البصري، عن محمد بن سيرين الأنصاري البصري، عنه. صحيحة.⁽¹¹¹⁾

(108) ينظر : جامع التحصيل : 163 و254.

(109) جامع التحصيل في أحكام المراسيل : 255، وينظر سنن الترمذي : 4 / 261.

(110) صحيح البخاري : برقم (2544 و97)، مسلم : 1 / 469، جامع البيان : 27 / 316.

8. شعبة، عن عمر بن مرة، عن مرة (غير أبيه)، عن أبي موسى، صحيحة، قيل إنها أصح الطرق عنه، ومنها يخرج البخاري في صحيحة⁽¹¹²⁾.
9. علي بن سعيد الكندي، عن خالد بن نافع الأشعري، عن سعيد بن أبي بردة، عن أبي بردة عنه: ضعيف لضعف خالد⁽¹¹³⁾ ويخرج منه الطبري وابن أبي حاتم والحاكم.
10. ابن وهب، عن أبان بن أبي عياش فيروز البصري، عن أبي تميمة الهجيمي، عنه: ضعيف، لضعف أبان، فهو متروك الحديث⁽¹¹⁴⁾.
11. صدقة بن خالد، عن عثمان بن أبي العاتكة، عن علي بن يزيد الألهاني، عن القاسم، عن أبي أمامة، عنه: ضعيف لضعف علي بن يزيد⁽¹¹⁵⁾.
12. سلمة الأبرش، عن ابن إسحاق، عن الحسن بن دينار عن الحسن البصري عن أبي موسى. ضعيف، فيه الحسن بن دينار ضعيف، وسلمة كثير الخطأ، والبصري لم يسمع من أبي موسى⁽¹¹⁶⁾.

المبحث الثالث

منهجه في التفسير

أولاً : أصول التفسير عند الأشعري :

لا يختلف الأشعري عن غيره من الصحابة في الأخذ بأصول التفسير ومصادره الصحيحة، فقد حرص في بيانه للقرآن على ضبط تفسيره بالأصول والقواعد التي تفصح عن مقاصد الخطاب، وتعين على بيان الغرض الذي سيق من أجله الكلام، فإن كان للنص بيان من النبي ﷺ لم يعدوه إلى غيره، وإن لم يجد

(111) وله طرق أخرى عن ابن سيرين يخرج منها الطبري وابن أبي حاتم.

(112) الباعث الحثيث : 104.

(113) الضعفاء والمتروكين : 95 وميزان الاعتدال : 429/2.

(114) الضعفاء والمتروكين : 45 وميزان الاعتدال : 10/1 - 11.

(115) تهذيب الكمال : 115/5. ويخرج منه ابن أبي حاتم في تفسيره.

(116) الكامل في الرجال : 296/2 و340/3 وتهذيب الكمال : 221/3 و252.

رجع إلى الأصول الأخرى وفق الضوابط المقررة في الشرع، ليتبين له المعنى، ويتعين المراد. فهو يأخذ بتفسير القرآن للقرآن، وبالسنة، وباللغة، وبالاجتهد، وسنأخذ أمثلة شواهد لذلك.

1. تفسير القرآن بالقرآن : فسر سبب الختم على الأفواه في قوله تعالى : ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بنا كانوا يكسبون﴾ يس : 56، لأنهم قالوا : ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ الأنعام : 23، فختم الله على أفواههم حتى نطقت جوارحهم.⁽¹¹⁷⁾ وفي قوله : ﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾ الحاقة : 18، قال : «تعرض الناس ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجداً ومعاذير، وأما الثالثة : فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فأخذ يمينه وأخذ بشماله».⁽¹¹⁸⁾ فهذا النص يظهر تتبعه لموارد العرض في القرآن، ليميز بينها، ويبين بعضها ببعض.

2. التفسير بالسنة، فقد كان مطلعاً على السنة، حافظاً لها، معاشياً لأسباب النزول، فإذا ثبت عنده البيان عن النبي ﷺ لم يتعداه، ويصرح بنسبة التفسير إليه ﷺ، ومن ذلك :

ما رواه أبو بردة عن أبيه أبي موسى قال : «قال رسول الله ﷺ : إن الله يُملي (وربما قال : يمهّل) الظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ : ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة﴾».⁽¹¹⁹⁾ هود : 102. وفي قوله تعالى : ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ البقرة : 31، روى قسامة بن زهير عن أبي موسى أنه قال : «قال رسول الله ﷺ : إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع

(117) جامع البيان : 503/20، تفسير ابن أبي حاتم : 3198/1 - 3199، تفسير القرطبي : 48 - 49.

(118) جامع البيان : 74/29 ورجاله ثقة لكن الحسن البصري لم يسمع من أبي موسى، وأخرجه أحمد وابن أبي حاتم عنه مرفوعاً : مسند أحمد : 486/32، وتفسير ابن أبي حاتم : 3371/10 قال الدار قطني : والموقوف هو الصحيح إلا أنه منقطع بين الحسن وأبي موسى : العلل : 251/7.

(119) جامع البيان : 475/15. وأخرجه أيضاً البخاري ومسلم في صحيحيهما وأصحاب السنن، ينظر : البخاري 4686 ومسلم 2583، السنن الكبرى : 365/6، وفتح الباري : 449/8 - 450.

الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر والأسود والأبيض وبين ذلك، والسهل والحزن والخبيث والطيب»⁽¹²⁰⁾ ويلحق بذلك ما يفسره من الآيات المتعلقة بأخبار الغيب، لأنه لم يعرف عنه أنه ينقل عن أهل الكتاب، وما يتعلق بأسباب النزول، لأن لها حكم المرفوع.

3. التفسير باللغة : وكان يعتمد اللغة العربية وعرف الاستعمال لدى العرب في الكشف عن معاني ألفاظ القرآن، وفهم تراكيبه، ورفع الإشكال عن غريبه، فيحقق المفردات تحقيقاً لغوياً، ويراعي عرف الاستعمال في فهم المراد من اللفظ، لكن هذا اللون كان قليلاً عنده، ومن ذلك : تفسيره لغريب القرآن اعتماداً على ما تقتضيه اللغة، نحو ما رواه أبو ظبيان حصين بن جندب عن أبي موسى في قوله تعالى : «فرت من قسورة» المدثر : 51، قال : هم الرماة رجال القنص.⁽¹²¹⁾ وبمثله قال ابن جبير ومجاهد وقتادة والضحاك وآخرون، وروي عن ابن عباس أيضاً.⁽¹²²⁾ وهو أحد معنيين أكثر شهرة للفظ (القسورة) في لغة العرب، والثاني هو الأسد، فحمل اللفظ على أحد محمليه على ما تقتضيه اللغة، معتمداً على معرفته بلسان العرب، وهو الأصل في اللغة كما يقول أهل اللغة، ولذا قال ابن عباس عن المعنى الثاني أنه بلسان الحبشة.⁽¹²³⁾ وفي قوله تعالى : «يؤتكم كفلين من رحمته» الحديد : 28، روى أبو الأحوص عن أبي موسى أنه قال : «الكفلان ضعفان من الأجر بلسان الحبشة».⁽¹²⁴⁾ فكشف عن المعنى اللغوي للفظ (الكفل) وهو الضعف،⁽¹²⁵⁾ كما كشف عن أصلها اللغوي. وهو يدل على معرفته

(120) جامع البيان : 170/1، وصححه الترمذي والحاكم، سنن الترمذي : 67/4 والمستدرک : 261/2.

(121) جامع البيان : 210/29، المستدرک : 597/2 وتفسير ابن أبي حاتم : 3385/10 وأخرجه سعيد بن

منصور وابن حميد وابن المنذر، الدر المنثور : 339/8.

(122) الجامع لأحكام القرآن : 89/19.

(123) الجامع لأحكام القرآن : 89/19 ولسان العرب : 11/155 - 156.

(124) جامع البيان : 210/29 وتفسير ابن أبي حاتم : 3341 / 10.

(125) لسان العرب : 12/128.

واطلاعه الواسع على اللغة العربية ولغات الأقوام الأخرى. وكان عمر يوجهه إلى تعليم الناس العربية، والاهتمام باللغة، فكتب إليه مرة وهو على البصرة : أن اجمع الشعراء من قبلك وسلمهم عن الشعر وهل بقي لهم به معرفة، وأحضر لبيداً لذلك. ففعل فكانوا عارفين به. وكتب إليه مرة أن : خذ الناس بالعربية فإنه يزيد في العقل ويثبت المروءة.⁽¹²⁶⁾ وهذا يدل أيضاً على مكانته في اللغة العربية ومعرفته بها.

4. التفسير بالاجتهاد : لقد أخذ من تفسير القرآن مجالاً واسعاً لاستنباط الأحكام، فكان يتدبر بعمق في آيات القرآن، ويوازن بين النصوص، يساعده في ذلك حدة ذكائه، وقوة بيانه وسلامة لغته، ومعرفته بملايسات التزيل، وكانت نظراته واجتهاداته العميقة ذات أهمية في فحص وتحقيق مقاصد القرآن وأهدافه. ولبيان ذلك نذكر بعض الأمثلة التي تلقي الضوء على أهمية اجتهاداته في التفسير :

- قوله تعالى : ﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ﴾ البقرة : 228، فسر أبو موسى (القرء) بالحيض فقال : «ثلاث حيض».⁽¹²⁷⁾ والقرء مشترك في لغة العرب بين الطهر والحيض، وقول أبي موسى هو موافق لرأي أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي بن كعب وابن عباس، ومذهب أبي حنيفة وأحمد في الصحيح. وقالت عائشة هو الطهر، وهو قول ابن عمر وعروة وآخرين، ومذهب مالك والشافعي.⁽¹²⁸⁾ ويرى أبو موسى أن عدة المرأة تنتقضي بالغسل بعد انقطاع الدم لا بانقطاعه، وهذا ما جاء برواية عنه : «راجع رجل امرأته حين وضعت ثيابها تريد الاغتسال، فقال : قد راجعتك، فقالت : لا، فاغتسلت ثم

(126) الجامع لأحكام القرآن : 54/15 لسان العرب : 155/1 والنصان فيهما على التوالي.

(127) تفسير ابن أبي حاتم : 415/2.

(128) تفسير ابن كثير : 271/1.

خاصمها إلى الأشعري فردها إليه»⁽¹²⁹⁾ وفي رواية عنه : «في الرجل يطلق امرأته فتحيض ثلاث حيض فيراجعها قبل أن تغتسل، قال : هو أحق بها ما لم تغتسل من الحيضة الثالثة»⁽¹³⁰⁾ وهو موافق لرأي عمر وابن مسعود.⁽¹³¹⁾

- وفي قوله تعالى : «والسابقون الأولون» التوبة : 100 ، قال : «المهاجرون الأولون، من صلى القبلتين مع النبي ﷺ»⁽¹³²⁾ وفسر الأيام المعدودات في : «واذكروا الله في أيام معدودات» البقرة : 203 ، قال : هي أربعة أيام : يوم النحر، وثلاثة أيام بعده، وبه قال أيضاً : ابن عباس وابن الزبير وجمهور التابعين. وقال علي : هي ثلاثة : يوم النحر، ويومان بعده.⁽¹³³⁾ وقول أبي موسى هو المشهور، وعليه دل ظاهر الآية، حيث قال : «فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه» البقرة : 203 ، فدل على ثلاثة بعد النحر.⁽¹³⁴⁾ وفسر الأيام المعلومات في : «ويذكروا اسم الله في أيام معلومات» الحج : 28 ، بأنها الأيام العشر من ذي الحجة، وهو قول ابن عباس في الرواية المشهورة عنه، وبه قال أبو حنيفة والشافعي وأحمد.⁽¹³⁵⁾ وروى أبو يوسف عن عمر وعلي عدم التفريق بين الأيام المعدودات والأيام المعلومات، وقالوا : هي أيام النحر الثلاثة. وعن ابن عمر : أن الأيام المعدودات والأيام المعلومات يجمعها أربعة : يوم النحر وثلاثة بعده، فيوم النحر معلوم غير معدود، واليومان بعده معلومان معدودان، واليوم الرابع معدود لا معلوم. وهذا مذهب مالك. قال

(129) جامع البيان : 266/2.

(130) السنن الكبرى : البيهقي : 685/7.

(131) تفسير ابن كثير : 271/1.

(132) جامع البيان : 436/14 وتفسير ابن أبي حاتم : 1868/6.

(133) تفسير ابن أبي حاتم : 361/2 وتفسير ابن كثير : 246/1 وفتح القدير : 316/1.

(134) تفسير ابن كثير : 246/1.

(135) تفسير ابن كثير : 217/1.

القرطبي : ⁽¹³⁶⁾ «وإنما كان كذلك لأن الأول ليس من الأيام التي تختص بمنى»، والرابع لم يكن فيه نحر، (كما هو مذهب المالكية)، فكان الرابع غير مراد بالمعلومات، فصار معدوداً لأجل الرمي، غير معلوم لعدم النحر فيه. والقول الأول أرجح وعليه الجمهور. ⁽¹³⁷⁾

ثانياً : سمات تفسيره :

يلاحظ على تفسيره للقرآن أنه يميل إلى الأخذ بالظاهر في مسائل عديدة، ويأخذ بالرأي في مسائل أخرى، مما يجعل مدرسته متميزة عن المدرسة الكوفية والمدرسة المدنية، وكانت له اهتمامات خاصة يكثر دورانها في بيانه للقرآن، نشير إلى بعضها للاستشهاد :

1. اهتمامه بتاريخ النزول : لقد أولى الأشعري المسائل المتعلقة بعلوم القرآن اهتمامه لدى تفسيره للقرآن، ولا سيما العلوم التي لا بد من معرفتها لمفسر القرآن الكريم. فكان يتتبع تاريخ نزول السور والآيات، فيبين مكان نزولها وزمانه وملابساته ومراحله. ويعرف تلامذته بأول ما نزل من القرآن، ففي رواية أبي رجاء العطاردي قال : «كنا في المسجد الجامع ومقرئنا أبو موسى الأشعري، كأنني أنظر إليه بين بردين أبيضين، قال أبو رجاء : عنه أخذت هذه السورة : ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ العلق : 1، وكانت أول سورة نزلت على محمد ﷺ». ⁽¹³⁸⁾ فبين أنها أول ما نزل من القرآن، وأنها مكية، وهو مروى عن عائشة رضي الله عنها. ⁽¹³⁹⁾ كما يقف عند قصة النزول وملابساتها، ويعرف بها كما جاء عن قسامة بن زهير عن أبي موسى

(136) الجامع لأحكام القرآن : 2/3 - 3.

(137) جامع البيان : 302/2 - 303/17، الجامع لأحكام القرآن : 2/3 - 3 وتفسير ابن كثير : 1/217.

(138) جامع البيان : 30/320. ورجال السند ثقة، والمستدرک : 2/240 وقال السيوطي : أخرجه الطبراني في

الكبير بسند على شرط الصحيح : الإتيان : 1/69.

(139) الجامع لأحكام القرآن : 20/109 - 110.

أنه لما نزل على رسول الله ﷺ : «وأنذر عشيرتك الأقربين» الشعراء : 215، جاء فوضع إصبعيه في أذنيه، ورفع صوته وقال : «يا بني عبد مناف واصباحاه»⁽¹⁴⁰⁾ وأخرجها ابن حبان في صحيحه وفيها بيان لسبب نزول سورة المسد.⁽¹⁴¹⁾ وروايته لهذه القصة تبين مدى اهتمامه وحرصه على ملاحظة ونقل القصة المصاحبة لنزول الوحي بكل تفاصيلها وهيئاتها وملابساتها الدقيقة، حرصاً على إحاطة النص القرآني بكل القرائن المساعدة على توثيقه وفهمه. كما يبين لتلامذته من نزلت الآيات فيهم، قال سماك سمعت عياض الأشعري يحدث عن أبي موسى الأشعري قال : «لما نزلت : ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ قال رسول الله ﷺ : هم قومك يا أبا موسى، وأوماً رسول الله ﷺ بيده إلى أبي موسى الأشعري».⁽¹⁴²⁾

2. موقفه من النسخ : وكان له اهتمام ورأي دقيق في مسائل النسخ في القرآن الكريم، والمراجعة السريعة للروايات التفسيرية عنه تظهر أن أبا موسى كان عالماً بمواطن النسخ في القرآن، عارفاً بقواعده الشرعية وحكمته، وقد تميز في موضوع النسخ بدقة النظر فيه وبعد الملاحظة، ولم يكن مكثراً من القول بالنسخ بحجة أي دليل، فهو يقول به متى قام الدليل الصحيح الصريح عليه، وذلك كما جاء في قوله تعالى : ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج﴾ البقرة : 240، قال : كان لها نفقتها وسكنها في الدار سنة، ثم نسخت بآية الموارث، فجعل الله لهن الربع أو الثمن مما ترك الزوج. وبه قال أيضاً ابن

(140) جامع البيان : 407/19 وإسناده صحيح، وفتح الباري : 638/6 وصححه والترمذي : 339/5.

(141) صحيح ابن حبان : 488/14 برقم (6551). وهذه الرواية ترجع هجرته من بلاده إلى مكة.

(142) المستدرک : 342/2 وقال صحيح على شرط مسلم، وتفسير الطبري : 183/6، وتفسير ابن أبي حاتم : 4

1190/ وقال الهيثمي : لكن رواياته تدور على عياض وهو لم يسمع من أبي موسى فهو مرسل. وتفسير

ابن كثير : 165/3 ورواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد : 16/7.

عباس وابن الزبير ومجاهد والحسن وإبراهيم وقتادة وغيرهم.⁽¹⁴³⁾ وفي قوله : «كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف» البقرة : 180 ، روي عنه أنها منسوخة ، نسختها آية الموارث ، فلا وصية لوارث ، وهو مروى أيضاً عن ابن عباس.⁽¹⁴⁴⁾

وإذا لم يثبت الدليل المسلم به على النسخ ، ولم يمتنع الجمع بينهما فإنه لا يقول بالنسخ ، وإنما يعمل على الجمع بين النصوص التي يوهم ظاهرها التعارض ، وذلك بإعمال الدليلين كل في موضعه وبما تقتضيه مقاصد الشرع وحكمة التشريع ، ومثاله ما رواه حطان الرقاشي قال : قسم أبو موسى بهذه الآية : «وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه» النساء : 8 ، وفي رواية : «أمر أن يعطوا إذا حضر قسمة الميراث أولوا القربى واليتامى والمساكين والجيران من الفقراء».⁽¹⁴⁵⁾ فهو يرى أن هذه الآية محكمة. وقال ابن عباس في رواية وبعض التابعين : إنها منسوخة بآية الموارث ، واختار القرطبي قول أبي موسى ، وهو الأظهر ، لأن آية الموارث مبينة استحقاق الورثة نصيبهم ، وهذه الآية هي على استحباب المشاركة لمن لا نصيب له ممن حضرهم ، بأن يوصلوا ويرضخ لهم ، ولذا قال ابن جبير : ضيع الناس هذه الآية ، وقال الحسن : ولكن الناس شحوا. وروي عن ابن عباس أنها ليست منسوخة ، وإنما هي للاستحباب والصلة.⁽¹⁴⁶⁾

وفي قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابكم مصيبة الموت» المائدة : 106 ، قال بعض

(143) تفسير ابن أبي حاتم : 451/2 وتفسير ابن كثير : 296/1 والدر المنثور : 549/1.

(144) تفسير ابن أبي حاتم : 299/1.

(145) جامع البيان : 179/4 ورجاله ثقة ، والدر المنثور : 218/2.

(146) الجامع لأحكام القرآن : 49/5. وينظر صحيح البخاري في الرواية عن ابن عباس : 169/4

برقم (4300)

السلف : إن قوله : ﴿أو آخران من غيركم﴾ منسوخ، وهو مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي، وقالوا : إن ذلك كان جائزاً أولاً، لأن الإسلام لم يكن موجوداً إلا في المدينة، فلما انتشر الإسلام نسخ بقوله تعالى : ﴿ممن ترضون من الشهداء﴾ البقرة : 282، وقوله : ﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم﴾ الطلاق : 2، وآية الدين من آخر ما نزل من القرآن. لكن أبا حنيفة أجاز شهادة الكفرة بعضهم على بعض.⁽¹⁴⁷⁾

وقال أبو موسى هي محكمة وغير منسوخة، يقول الشعبي : «إن رجلاً حضرته الوفاة بدقوقاء، ولم يجد أحداً من المسلمين يشهدهما على وصيته، فأشهد رجلين من أهل الكتاب، فقدم الكوفة، فأتيا الأشعري، فأخبراه وقدماً بتركته ووصيته، فقال الأشعري : هذا أمر لم يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله ﷺ، فأحلفهما وأمضى شهادتهما».⁽¹⁴⁸⁾ وهذا من أولياته في القضاء بعد النبي ﷺ. وبه قال ابن عباس ومجاهد وابن المسيب وابن سيرين وغيرهم، وهو مذهب أحمد والثوري والأوزاعي.⁽¹⁴⁹⁾

والراجح قول أبي موسى، لأن هذه الآية هي في سورة المائدة، وهي من آخر ما نزل من القرآن، حتى قال ابن عباس والحسن : لا منسوخ فيها. ولم يأت ما ادعوه من النسخ عن أحد ممن شهد التنزيل، وشرط القول بالنسخ إثبات الناسخ على وجه يتنافى الجمع بينهما، مع تراخيه، وهنا الجمع بينهما ممكن، بأن يحمل جواز شهادتهما على توفر شروط ثلاثة : في الوصية، وحال السفر، وانعدام

(147) الجامع لأحكام القرآن : 349/6 وفتح الباري : 412/5.

(148) جامع البيان : 68/7 وسنن أبي داود : 417/3 ورجالته ثناء، المستدرک : 343/2 وفتح الباري : 412/5. وقوله (هذا أمر لم يكن) يبدو أراد به قصة السهمي مع تميم وعدي في عهد النبي ﷺ، تفسير ابن كثير : 114/2.

(149) الجامع لأحكام القرآن : 350/6 وفتح الباري : 412/5.

المسلمين، ويكون المنع حال فقد أحد هذه الشروط. مما يظهر لنا حصافة فكر أبي موسى، ودقة نظره، وتوازن استنباطاته.⁽¹⁵⁰⁾

3. موقفه من التشابه : لم يكن أبو موسى يتوقف في تفسير آيات الصفات من التي عرفت بالمتشابه، فقد ورد عنه تفسير بعض الآيات المتشابهات، وآيات الصفات، وهو يفسرها بحسب الظاهر، وبما يليق بذات الله تعالى. من ذلك تفسيره للكرسي في قوله تعالى : ﴿وسع كرسیه﴾ البقرة : 255، روى عمارة بن عمير عن أبي موسى أنه قال : «الكرسي موضع القدمين، وله أطيط كأطيط الرمل»⁽¹⁵¹⁾ ومعناه فيما يروي البيهقي : أنه موضوع من العرش موضع القدمين من السرير. وقال ابن عطية : يريد أبو موسى بموضع القدمين : هو من عرش الرحمن كموضع القدمين من أسرة الملوك، فهو مخلوق عظيم بين يدي العرش، نسبته إليه كنسبة الكرسي إلى سرير الملك.⁽¹⁵²⁾

وفي قوله تعالى : ﴿يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾ القلم : 42، روي عن أبي موسى مرفوعاً قال : «نور عظيم يخرون له سجداً».⁽¹⁵³⁾ وهذا تفسير بالظاهر، وينحوه استدلال أهل الحديث على إثبات صفة الساق، ويؤيده حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ : «يكشف ربنا عن ساقه»⁽¹⁵⁴⁾ وحديث

(150) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : 350/6.

(151) جامع البيان : 7/3 وقال السيوطي : أخرجه ابن المنذر وأبو الشيخ والبيهقي، الدر المنثور : 327/1.

(152) الجامع لأحكام القرآن : 133/4 - 134. وروي عن ابن عباس نحوه، المستدرک : 282/2 وفتح الباري :

199/8. ومختصر الملو : 102، وقال الألباني : صحيح موقوف.

(153) جامع البيان : 51/29 ومسند أبي يعلى : 269/13 وضعفه المحقق، وقال البيهقي : وفيه روح بن جناح

وثقه دحيم وقال ليس بالقوي، وبقي رجاله ثقات، مجمع الزوائد : 128/7، وينظر : تفسير ابن كثير : 8

225/

(154) صحيح البخاري : 545/3 برقم (1343) كتاب التفسير.

الشفاعة : «فيكشف الرب عن ساقه».⁽¹⁵⁵⁾ وقال ابن فورك : معناه : ما يتجدد للمؤمنين من الفوائد والألطاف.⁽¹⁵⁶⁾ وتفسير هذه الآية فيها اختلاف بين الصحابة.

4. موقفه من تفسير آيات الاعتقاد وأخبار الغيب : لقد أثر عنه روايات عدة تتعلق بآيات العقيدة، منها في قوله تعالى : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ يونس : 26، روى أبو تميم الهجيمي عنه أنه قال : «الحسنى : الجنة، والزيادة : النظر إلى وجه الله».⁽¹⁵⁷⁾ وفي رواية له مرفوعة يفسر بها حجابته تعالى : «حجابته النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره».⁽¹⁵⁸⁾ وفيه إشارة إلى أن حجابته خلاف الحجب المعهودة.

كما يبدي اهتماما بأخبار يوم القيامة وتفسير الآيات الواردة في وصف الجنة والنار، مرة بما يرفعه إلى النبي ﷺ ومرة موقوف عليه، نحو ما ورد عنه في تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَنُخَافُ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ الرحمن : 46، فعن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال : « جنان الفردوس أربع : جنتان من ذهب حليتهما وأنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة حليتهما وأنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن».⁽¹⁵⁹⁾ وفي رواية : « جنتان من ذهب للسابقين، وجنتان من فضة للتابعين».⁽¹⁶⁰⁾ وفي قوله تعالى : ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ الرحمن : 72،

(155) صحيح البخاري : 545/3 برقم (1343) كتاب التفسير.

(156) فتح الباري : 428/3. وذكر فيه تفسير ابن عباس لها بما يخالف ذلك.

(157) جامع البيان : 64/15 - 65 لكن طريقه ضعيفة، تهذيب الكمال : 265/8. وتفسير ابن أبي حاتم : 6/1945، وله طرق أخرى تؤيده وتقويه، وهو قول كثير من الصحابة، فتح الباري : 347/8 والجامع لأحكام القرآن : 330/8. وأخرجه مسلم عن صهيب مرفوعاً، صحيح مسلم : 63/1 برقم (297 و298).

(158) صحيح مسلم : 161/1 برقم (179) الإيمان. وروى أنه ثبت الرؤية للنبي ﷺ في الدنيا. الفتح : 608/8.

(159) تفسير ابن أبي حاتم : 3326/10 ومسند أحمد 460/32. ورجاله ثقة، ويلفظ آخر أخرجه البخاري،

برقم (4880) التفسير، ومسلم : 163/1 برقم (180) باب الإيمان.

(160) المستدرک : 157/1 وقال صحيح على شرط مسلم، وفتح الباري : 624/8.

روى أبو بكر بن أبي موسى عن أبيه أن النبي ﷺ قال : «الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ثلاثون ميلاً ، في كل زاوية للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون». وفي رواية : « ستون ميلاً».⁽¹⁶¹⁾ وفسر الفردوس مرفوعاً : «الفردوس مقصورة الرحمن فيها خيار الأنهار والأثمار».⁽¹⁶²⁾ وإخبار الصحابي عن أمور العقيدة ، وعن أخبار الغيب التي لا تدرك إلا بالوحي ، إذا وردت موقوفة عليه ، ولم يكن ممن ينقل عن أهل الكتاب يكون لها حكم المرفوع.

5. اهتمامه بأخبار الأمم الماضية : وقد اشتملت الروايات التفسيرية عنه بالاهتمام بأخبار الأمم السابقة وأخبار أنبيائهم ، وقد وردت روايات غير قليلة تتعلق بذلك.

من ذلك ما روي عنه في (ذي الكفل) من قوله تعالى : ﴿واسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين﴾ الأنبياء : 85 ، أنه قال وهو يخطب الناس : «إن ذا الكفل لم يكن نبياً ، ولكن كان عبداً صالحاً ، تكفل بعمل رجل صالح عند موته ، كان يصلي لله كل يوم مائة صلاة ، فأحسن الله عليه الثناء في كفالاته إياه».⁽¹⁶³⁾

وعن قسامة عن أبي موسى قال : «إن الله حين أهبط آدم من الجنة إلى الأرض علمه صنعة كل شيء ، وزوده من ثمار الجنة مثل ثماركم هذه ، غير أن هذه تتغير ، وتلك لا تتغير».⁽¹⁶⁴⁾ وهي تفسير لقوله تعالى : ﴿وأتوا به متشابهاً﴾ البقرة : 25 ، يبين فيها أن التشابه في الشكل أو الاسم المراد هو بين ثمار الجنة وثمار الدنيا ، وليس بين ثمار الجنة نفسها.

وكان له اطلاع على أخبار الأمم السابقة وتفصيل الأحداث ، كما جاء في رواية غنيم بن قيس البصري قال : «قال لنا الأشعري : أنتم اليوم على عدة

(161) صحيح البخاري : 1185/3 برقم (3071) والترمذي : 673/4 وصحيح ابن حبان : 407/16.

(162) تفسير ابن أبي حاتم : 2393/7.

(163) جامع البيان : 510/18 ورجاله ثقة ، لكن الراوي قتادة لم يسمع من أبي موسى.

(164) جامع البيان : 136/1 وتفسير ابن أبي حاتم : 92/1 واللفظ له ، ورجاله ثقة ، والمستدرک : 592/2.

أصحاب طالوط (يقصد طالوت) يوم جالوت، قال : كم كنتم ؟ قال خمسين ومائتين ، أو خمسين وثلاثمائة»⁽¹⁶⁵⁾ يفسر به إجمال ما ورد في عدد جنود طالوت في قوله تعالى : ﴿فلما فصل طالوت بالجنود﴾ البقرة : 249. كما كان يحقق الأحداث والقصص الوارد في القرآن، ليقف على تفاصيلها، فعن أبي إسحاق السبيعي قال : قال أبو موسى : «أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة، فوجدته ستين ذراعاً»⁽¹⁶⁶⁾ ويبدو أن هذا الاهتمام بآيات العقيدة وأخبار الأمم ناتج عن سببين، أحدهما : البيئة التي عاش فيها وهي أرض البصرة والكوفة، وقد اشتهرت هاتان المدينتان بالفتن، وبالبحث وكثرة السؤال عن المتشابه، وخبر صبيغ بن عسل الذي كان في عهد الأشعري في البصرة يؤيد ذلك. الثاني : طبيعة أبي موسى نفسه، فقد عرف بالزهد، والزاهدون لديهم تعلق خاص بأخبار اليوم الآخر وأخبار الأمم الغابرة، لأخذ العبرة والعظة منها.

الخاتمة :

- وفي نهاية المطاف أوجز أهم النتائج التي استقيناها من هذه الدراسة الموجزة.
1. تشرف أبو موسى الأشعري بهجرات ثلاث لم تكن لغيره. وكان مجاهداً شجاعاً، شارك في جميع الغزوات مع النبي ﷺ بعد نزوله المدينة، وافتتحت على يديه الكثير من الأمصار والبلدان في عهدي عمر وعثمان رضي الله عنهما.
 2. منذ نزله المدينة لازم النبي ﷺ في حضره وأسفاره، فروى عنه حديثاً كثيراً، وحفظ القرآن منه، وعرضه عليه. وهو أحد الصحابة المعدودين الذين اشتهروا بالفقه والفتوى، وكان من الذين يفتون في عهد النبي ﷺ، وأحد أربعة تميزوا بالقضاء، وأحد ثمانية انتهى إليهم العلم فكان من الأصحاب

(165) تفسير ابن أبي حاتم : 475/2 ورجاله ثقات.

(166) جامع البيان : 162/8.

- المتميزين بالعلم والفتنة والذكاء والتثبت، ولذا اعتمد عليه النبي ﷺ في الولاية، واعتمد عليه عمر وعثمان علي رضي الله عنهم فيما بعد.
3. كان الأشعري أحد الصحابة العشرة المشتهرين بالتفسير، وأحد السبعة المشتهرين بالقراءة. فقه أهل البصرة وأقرأهم، فأسس مدرسة الإقراء البصرية، وإليه ترجع أسانيد قراءات أئمة البصرة أبو عمرو بن العلاء ويعقوب والحسن البصري. وأرسى دعائم مدرسة التفسير فيها، كما كان له أثر مهم في مدرسة الكوفة بعد نزوله إليها.
4. كان في تفسيره للقرآن يأخذ بالأصول المعتمدة، وتميز في التفسير الاجتهادي كثيراً، فهو معدود من مدرسة الرأي العراقية، وله مدرسته التي يمازج فيها بين النصية والرأي، ولم يكن مكثراً من الرأي، حيث نجده في مسائل كثيرة يقف عند الظاهر، وهذا ما تتميز به المدرسة البصرية.
5. كان يولي اهتماماً خاصاً بآيات العقيدة، وأخبار يوم القيامة، وأخبار الأمم السابقة، وفي تفسيره لآيات العقيدة كان يقف فيها عند الظاهر فلا يتأول ولا يتوقف ويفوض. وهذا الاهتمام بهذه القضايا ربما ناتج عن البيئة التي عاش فيها.

أهم المصادر والمراجع

1. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر : البنا الدمياطي، بيروت، عالم الكتب، 1987م.
2. الإتقان في علوم القرآن : السيوطي، القاهرة، دار التراث، بت.
3. الاستيعاب في معرفة الأصحاب : ابن عبد البر، بيروت، دار الكتب العلمية، 1995.
4. أسد الغابة في معرفة الصحابة : ابن الأثير، تحقيق معوض وعادل أحمد، بيروت، دار الكتب العلمية،
5. الإصابة في تمييز الصحابة : ابن حجر العسقلاني، بيروت، دار الجيل، 1992م.
6. الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير : أحمد محمد شاكر، الرياض، دار العاصمة، 1315هـ.
7. بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، عبد الرحمن بن الديبع، بيروت، دار العودة، 1983م.
8. تاريخ الطبري : ابن جرير الطبري، القاهرة، 1326هـ.
9. التاريخ الكبير : الإمام البخاري، بيروت، دار الفكر، 1986م.
10. تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة : ابن الجزري، بيروت، دار الكتب العلمية.
11. تذكرة الحفاظ : أبو عبد الله الذهبي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1374هـ.
12. تفسير القرآن العظيم : ابن أبي حاتم، مكة المكرمة، دار الباز، 1405هـ-1985م.
13. تفسير القرآن العظيم : ابن كثير، الرياض، دار الرؤية، 1414هـ-1993م.

14. تهذيب التهذيب : ابن حجر العسقلاني، بيروت، دار الفكر، 1404هـ-1984.
15. تهذيب الكمال في أسماء الرجال : جمال الدين المزي، تحقيق بشار عواد، مؤسسة الرسالة، ط1، 1975م.
16. الثقات : ابن حبان، بيروت، دار الفكر، 1975م.
17. جامع البيان في تأويل آي القرآن : الطبري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2001م. وطبعة دار المعارف بمصر، تحقيق وتخريج الأخوين أحمد ومحمود محمد شاكر.
18. جامع التحصيل في أحكام المراسيل : صلاح الدين العلائي، تحقيق حمدي السلفي، عالم الكتب، ط3.
19. الجامع لأحكام القرآن : القرطبي، القاهرة، دار الشعب، 1372هـ.
20. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : أبو نعيم، تحقيق مصطفى عطا، بيروت، دار الكتب العلمية.
21. الدر المنثور : السيوطي، بيروت، دار الفكر، 1993م.
22. السلوك في طبقات العلماء والملوك : الجندي، تحقيق محمد بن علي الأكوع، اليمن، 1983.
23. سنن الترمذي : بيروت، دار إحياء التراث العربي، بت.
24. سنن الدارقطني : علي بن عمر، بيروت، دار المعرفة، 1386هـ-1966م.
25. سنن الدارمي : تحقيق خالد العلي، بيروت، دار الكتاب العربي، 1407هـ.
26. سنن أبي داود : نشر محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر، بت.
27. السنن الكبرى، البيهقي، تحقيق محمد عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، 1414هـ-1994.
28. سنن ابن ماجه : بيروت، دار الفكر، بت.

29. سير أعلام النبلاء : الحافظ الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، 1، 1990.
30. صحيح البخاري : بيروت، دار ابن كثير، 1987م.
31. صحيح ابن حبان : تحقيق شعيب الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1، 1414هـ.
32. صحيح ابن خزيمة : أبو بكر محمد بن إسحاق، تحقيق محمد الأعظمي، بيروت، المكتب الإسلامي، 1970م.
33. صحيح مسلم : بيروت، دار إحياء التراث العربي.
34. الضعفاء والمتروكين : النسائي، بيروت، دار الفكر.
35. طبقات فقهاء اليمن : ابن سمرة، بيروت، دار الكتب، 1981م.
36. الطبقات الكبرى : محمد بن سعد البصري، بيروت، دار صادر، بت.
37. طبقات خليفة : خليفة بن خياط، الرياض، دار طيبة، 1982م.
38. العلل : الدارقطني، تحقيق محفوظ الرحمن، بيروت، دار الكتب العلمية.
39. غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، نشر برجستراسر، بيروت، دار الكتب العلمية، 3، 1983م.
40. فتح الباري بشرح صحيح البخاري : ابن حجر العسقلاني، بيروت، دار المعرفة، 1379هـ.
41. فتح القدير : الشوكاني، بيروت، دار الفكر.
42. الكامل في ضعفاء الرجال : ابن عدي، تحقيق يحيى غزاوي، بيروت، دار الفكر، 1409هـ.
43. لسان العرب : ابن منظور، دار إحياء التراث العربي.
44. مجمع الزوائد : الحافظ الهيثمي، بتحريه العراقي وابن حجر، بيروت، دار الكتاب العربي.
45. المستدرک : الحاكم، بيروت، دار الكتب العلمية، 1411هـ 1990.

46. مسند أحمد : مصر، مؤسسة قرطبة، بت.
47. معجم البلدان : ياقوت الحموي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1990م.
48. المعجم الكبير : الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد، الموصل، التراث العربي، 1983م.
49. معرفة الصحابة : أبو نعيم الأصفهاني، تحقيق العزازي، دار الوطن، 1.
50. معرفة القراء الكبار، أبو عبد الله الذهبي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997م.
51. ميزان الاعتدال في نقد الرجال : أبو عبد الله الذهبي، تحقيق البجاوي، بيروت دار المعرفة، بت.
52. النشر في القراءات العشر : ابن الجزري، بيروت، دار الكتب العلمية، بت.